

اِسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

19

الْمَحْصِي

الْمُبْدِي

الْمُعِزُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ

الْحُصَى

كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَجْلِسُ مَعَ كَعْبِ الْأَحْبَارِ فَقَالَ لَهُ :

— وَيْحَكَ يَا كَعْبُ ! حَدَّثْنَا مِنْ حَدِيثِ الْآخِرَةِ .

فَقَالَ كَعْبُ :

— نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ رُفِعَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ إِلَّا وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى عَمَلِهِ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالصُّحُفِ الَّتِي فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ فَتُنْشَرُ حَوْلَ الْعَرْشِ ، ثُمَّ يُدْعَى الْمُؤْمِنُ فَيُعْطَى كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَيَنْظُرُ فِيهِ ، فَإِذَا حَسَنَاتُهُ بَادِيَاتٌ لِلنَّاسِ ، كَمَا يَجِدُ سَيِّئَاتِهِ مَدُونَةٌ أَيْضًا ، فَيَشْعُرُ أَنَّ مَا قَدَّمَهُ مِنْ عَمَلٍ لَا يَكْفِي لِدُخُولِ الْجَنَّةِ ،

لكن من رحمة الله يجد في آخر الصحيفة : أنه
مغفور له وأنه من أهل الجنة .

وأضاف :

وأما الكافر فيُدعى ويُعطى كتابه بشماله ثم يُلَفُّ
فيُحْمَل من وراء ظهره ويلوى عنقه ، فينظر في كتابه فإذا
سبائته باديات للناس .

وهنا استغفروا الحاضرون وقالوا :

- استغفروا الله من الصغائر قبل الكبائر ، لأن الله
يُحْصِيها ، فأياكم ومُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ ، فإنها تجتمع على
صاحبها حتى تُهْلِكَه .

فَسُبْحَانَ الْمُحْصِي الْمُحِيط بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ، الذي
يُحْصِي الطَّاعَاتِ وَيَكْفِي عَلَيْهَا ، وَيُحْصِي السُّيِّئَاتِ
وَيُجَازِي بِهَا ، فهو مَبْحَثَانِ الذي أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ بِعِلْمِهِ
فَلَا يَفُوتُهُ مِنْهَا دَقِيقٌ وَلَا يَسْغُلُهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ .

قال (نعالي) :

﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فِئْرِ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ
وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا

كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا

وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ (الكهف : ٤٩)

والإنسان العاقل الذي يدرك حقيقة هذا الاسم ومعناه الدقيق ، لا يليق به أن يضع نفسه في مكان تُحصى عليه سيئاته وتُكتب ذنوبه ، بل عليه أن يضع نفسه في الموضع الذي يحب أن يراه الله (تعالى) فيه ، وهو موضع الطاعة وأعمال البر والإحسان ..

إن الإنسان على مدى عمره القصير ، يقوم بالعديد من الأفعال ، وعندما يتقدم به العمر قد يذكر بعضها وقد ينسى الكثير منها ، لكن الله (تعالى) المحصي لا ينسى شيئاً ولا يفتوه تدوين شيء ، فملائكته الكرام البررة يكتبون كل شيء ويسجلونه بدقة في سجل أعمال العبد ، حتى تُعرض عليه يوم القيامة ، فلا يجادل أو ينكر ، فلا مجال للجدل أو الإنكار .

قال (تعالى) :

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ

وَنَسَرَهُ وَلِلَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المجادلة : ٦)

وفي هذه الآية تحذير لكل إنسان من التسميان أو
الشهارة ، وتذكير له بأن يستعيد لهذه اللحظة حتى
تكون صغيفته بيضاء ناصعة البياض .

وإذا تأمل الإنسان في نعم الله عليه : بنعمة السمع
والبصر والعقل والإيمان والرزق .. إلخ ، وحاول أن
يحصي هذه النعم ويعرف عددها فلن يستطيع ، لأن نعم
الله علينا أكثر من أن نحصى ، ومع ذلك فنحن نسلمع بها
ونغفل عن شكر المنعم بها علينا .

قال (تعالى) :

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ
كَفَّارٌ ﴾ . (إبراهيم : ٣٤)

ولذلك فقد كان الرسول ﷺ وهو يدرك هذه الحقيقة
يدعو ربه قائلاً :

«اللهم لا تحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على
نفسك» .

ولذلك فعلى المسلم الصادق ، أن يكثير من الحمد
والشكر لله الذي أفاض عليه بالنعم والعطايا ، وأن يراقب

اللَّهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ ، لِأَنَّهُ (نَعَالِي) هُوَ الْمُخْصَى
الَّذِي يُخْصَى أَعْمَالُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ ، وَلَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ
أَنْ يَخْصِيَ رَبَّهُ الْكَرِيمَ الَّذِي أَسْبَغَ عَلَيْهِ نِعْمًا لَا تُحْصَى وَلَا
تُعَدُّ .

سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَا
نَفْسِهِ ، وَزِينَةِ عَرْشِهِ ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ ، اللَّهُمَّ إِنَّا لَا تُخْصَى
ثَنَاءٌ عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ ، فَلَكَ الْحَمْدُ
مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ يَعْدُ 1

المَلَكُوتُ

عندما شاءت إرادة الله أن يجعل له خليفة في الأرض ،
ليعمرها وينتشر نسله فيها ، خلق آدم (عليه السلام) من
صلصال من حمأ مسنون ، وصور آدم من هذه الطينة ، وترك
بلا روح فترة من الزمن ، وكانت الملائكة كلما مرت بهذه
الصورة العجيبة ، تعجبوا منها وقالوا :

— مهما خلق الله من خلق فلن يكون أكرم عليه منا .

وبعد أن نفخ فيه الروح ، سرت فيه نسمة الحياة ،
واستيقظت حواسه ، فإذا به يسمع ويرى ويحس . وعلمه
الله الأسماء كلها ، فظهر فضله وعلمه على الملائكة
أجمعين . ولم تتمالك الملائكة نفسها ، أمام هذه

الْمُعْجَزَةُ ، فَخَرَّتْ سَاجِدَةً لِلَّهِ الْمُبْدِئِ الَّذِي خَلَقَ

آدَمَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ ، وَوَضَعَ فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ
وَالْحِكْمَةِ وَالْمَعْرِفَةِ مَا عَجَزُوا عَنْ مُجَارَاتِهِ ، فَسَلَّمُوا بِأَمْرِ
اللَّهِ وَحُكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَرَاحُوا يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِهِ قَائِلِينَ :
﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ
الْحَكِيمُ ﴾ . (البقرة : ٣٢)

فَسُبْحَانَ الْمُبْدِئِ الَّذِي أَوْجَدَ الْأَشْيَاءَ مِنَ الْعَدَمِ بِقُدْرَتِهِ ،
وَهُوَ (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) كَانَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ثُمَّ بَدَأَ الْخَلْقَ مِنَ
الْعَدَمِ ، فَأَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ بِتَقْدِيرٍ وَتَدْبِيرٍ وَعِلْمٍ
وَحِكْمَةٍ ، وَالَّذِي يَنَامُلُ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَصُورَتِهِ عَلَى هَذَا
النَّحْوِ الرَّائِعِ ، يَرَى إِلَى أَى مَدَى كَانَ إِبْدَاعُ الْخَالِقِ (جَلُّ
وَعَلَا) ، فَقَدْ سَوَّاهُ وَعَدَّلَهُ ، ثُمَّ صَوَّرَهُ فِي أَشْكَالٍ شَتَّى لَا حَصْرَ
لَهَا : الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَالطَّوِيلُ وَالْقَصِيرُ ، هَذَا إِلَى جَانِبِ
أَسْرَارِ مَا تَنْظُرُ عَلَيْهِ نَفُوسُ كُلِّ هَؤُلَاءِ الْبَشَرِ .

قَالَ (تَعَالَى) : ﴿ ذَلِكَ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْغَزِيرُ
الرَّحِيمُ ﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ

مِنْ حَيْنٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ *
ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩-٦﴾ . (السجدة : ٦-٩)

وَإِذَا تَأَمَّلَ الْإِنْسَانُ حَالَهُ قَبْلَ خَلْقِهِ لَشَكَرَ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ)
الَّذِي هَيَّأَ لَهُ فُرْصَةَ الْوُجُودِ وَكَرَّمَهُ بِأَنْ جَعَلَهُ حَلِيفَتَهُ فِي
أَرْضِهِ ، وَسَخَّرَ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَذَلَّلَ لَهُ كُلَّ صَغَبٍ .

قَالَ (تَعَالَى) : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ
يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ
نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ . (الإنسان : ١ ، ٢)

وَهَذِهِ الْآيَةُ تَشِيرُ إِلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ أَوْ آدَمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ،
مَرَّتْ عَلَيْهِ سِنَوَاتٌ قَبْلَ أَنْ يَنْفَخَ فِيهِ اللَّهُ الرُّوحَ وَهُوَ مُلْقَى
بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ ، وَكَانَ لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ . أَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ
قَبْلَ خَلْقِهِ بِشَكْلِ عَامٍّ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَكَرٌ أَوْ قَدَرٌ ، حَتَّى أَوْجَدَهُ
إِلَهُهُ مِنَ الْعَدَمِ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، فَصَارَ بَعْدَ ذَلِكَ مَعْرُوفًا
عِنْدَ الْخَلَائِقِ ، وَلَهُ قُدْرَةٌ وَمَنْزِلَةٌ وَمَكَانَتَةٌ . فَهَذِهِ نِعْمَةٌ مِنْ
اللَّهِ وَالْفَضْلِ ، وَبِكُفْيِ الْإِنْسَانَ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا أَنَّ اللَّهَ (تَعَالَى)

بِعِزَّتِهِ وَجَلَالِهِ هُوَ الَّذِي أَخَذَ الْإِنْسَانَ وَرَفَعَ قَدْرَهُ
وَأَعْلَى شَأْنَهُ .

وَأَسْمُهُ (تَعَالَى) الْمُبْدِيُّ يَفْتَرُونَ كَثِيرًا بِأَسْمِهِ (تَعَالَى)
الْمُعْبَدُ ؛ وَذَلِكَ حَتَّى يَنْبَغْنَ النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ (تَعَالَى) الَّذِي
بَدَأَ الْخَلْقَ وَأَوْجَدَهُ مِنَ الْعَدَمِ ، قَادِرٌ كَذَلِكَ عَلَى إِعَادَتِهِمْ
بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَكَيْلَا الْأَمْرَيْنِ : الْبَدْءُ وَالْإِعَادَةُ أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ
(عَزَّ وَجَلَّ) .

قَالَ (تَعَالَى) :

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا
أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعِندَ عَلَيْنَا إِذَا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ .

(الأنبياء : ١٠٤) .

وَقَالَ (تَعَالَى) :

﴿ هُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ
الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

(الروم : ٢٧)

وَالْمُسْلِمُ الَّذِي يَعْرِفُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ ، يَشْكُرُ رَبَّهُ (جَلَّ وَعَلَا)
الَّذِي أَوْجَدَهُ مِنَ الْعَدَمِ ، وَأَعْلَى مِنْ شَأْنِهِ وَرَفَعَ ذِكْرَهُ وَجَعَلَهُ

خليفة في أرضه ، وبعلم أنه (تعالى) كما بدأ
الخلق فإنه يُعيدُه ، فالعودة والإعادة ليست صعبة على
الله ، فالذي أوجد الإنسان والكون وكل المخلوقات من
العدم قادرٌ على أن يُعيدَهَا .
اللهم يا مُبْدِي ، اقسِمْ لنا مِن خَشْيَتِكَ ما تحُولُ بِهِ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ ، وَمِنَ اليَقِينِ ما تَهْوُنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ
الدُّنْيَا .

المُعِين

كَانَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ ، وَكَانَتْ عُقُولُهُمُ الْقَاصِرَةُ لَا تَتَخِيلُ أَنَّ الْحَيَاةَ يُمْكِنُ أَنْ تَعُودَ لِلْمَيِّتِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَكَانَ السَّبَبُ الرَّئِيسِيُّ الَّذِي يَمْنَعُهُمْ مِنَ التَّصَدِّيقِ بِذَلِكَ ، هُوَ عَدَمُ إِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ وَلَا بِقُدْرَتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى .

وَقَدْ تَخَذَاهُمْ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَرَّةً ، وَخَاطَبَ وَجَدَانَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى ، وَخَاطَبَ عُقُولَهُمْ مَرَّةً ثَلَاثًا أُخْرَى لَكِنَّهُمْ عَمُوا وَصَمُّوا . وَقَدْ حَكَّى اللَّهُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ .

قال (تعالى) :

﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا ﴾

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا * وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا
وَرَفَاتًا أَلْنَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ
حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ
يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ
رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا * يَوْمَ
يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا) .

(الإسراء : ٤٩ - ٥٢)

وفي هذه الآيات يتحدثى الله المشركين ، ويخبرهم أنهم
لو كانوا حجارة أو حديدًا لم يفوتوا الله (عز وجل) ، فكان
الله (تعالى) يقول لهم : كونوا ما شئتم ، فإن الله يَمِيتُكُمْ
ثم يَبْعَثُكُمْ ، وسوف يدعوكم الله يوم البعث فلا تملكون
أن ترفضوا ، فكل شيء سوف يقوم بأمره ، وتعود إليه الحياة
لكي يحاسب على ما قدم وأخر .

فسيحان المعبد الذي بعد خلقه بعد الموت ليحاسبهم
على أعمالهم ويجازيهم بها ، وهو (تعالى) قادر على ذلك
دون مشقة أو تعب .

إن البدء والإعادة دليل على قدرة الله المطلقة وعظمته ،

يقول العرب عن الإنسان العاجز الضعيف : فلان لا يبدئ ولا يعيد ، فسبحان الذي يبدئ ثم يميت ثم يعيد ، وهو على كل ذلك قدير .

قال (تعالى) : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ .

(الأنبياء : ١٠٤)

وهذه الآية تدل على أن كل شيء سيعود كما كان قبل خلقه ، فالسَّمَاءُ تُطَوَّى ويُعيدُها الله إلى الهلاك والنفاء فلا تكون شيئاً ، أو تفتى السماء ثم يُعيدُها الله مرةً أخرى بعد طيها وزوالها على صورة أخرى .

أما الناس فإن الله يحشرهم حفاة عُرَاةً غُرْلًا ، كما بدأوا في البطون . فعن ابن عباس قال : قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال :

- «يأيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عُرَاةً غُرْلًا ، ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ ، ألا وإن أولَ الخلائق يُكْسَى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام .»

(رواه مسلم)

وقد ذكر الله (تعالى) الإنسان بأصل نشأته
ووجوده ، ثم أعلنه بنهايته الحتمية التي كتبها على
خلقه ، حيث كتب عليهم الفناء وكتب على نفسه البقاء
والدوام .

وقد أراد الله بذلك أن يعرف الإنسان قدره الله ، وأن
يتأمل مصيره حتى يستعد ليوم اللقاء .
قال (تعالى) :

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْْوَآءًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ
ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ . (البقرة : ٢٨)

ولعل اقتران اسمه (تعالى) المبدئ باسمه المعيد فيه
تأكيد على حقيقة مهمة ، ينبغي أن يتنبه إليها الإنسان ،
فقد صنع الإنسان شيئاً ويعتق صناعته ، لكنه قد يعجز
أن يعيد هذا الشيء إلى عناصره الأصلية ، وذلك بسبب
تحول هذه العناصر وتغير خصائصها وامتزاجها ببعض ،
لكن الله (تعالى) يعيد كل شيء إلى طبيعته الأصلية دون
أن يختلط بشيء آخر أو تتغير معالمه .

قَالَ (تَعَالَى) : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ

مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ﴾ . (ف : ٤)

فبعد الموت يتحول الجسد إلى تراب ، وقد يمزج هذا
بذاك ، ولكن الله (تعالى) عنده كتاب حفيظ ، يحفظ
كل شيء ، ويعرف أحجام البشر وأشكالهم ، وهذه مقدرة
لا تكون إلا لله الخالق القادر المبدئ المعيد .